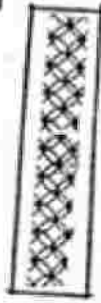


الخزانة

بقلم



فخرى فايد

أريد وجهه راضى فأصفر ثم أحمر لما
سمع رئيسه ينبئه برغبة المفتش القادم
من الوزارة فى أن يلقي نظرة على
الخزانة ، وراحت تجاعيد وجهه ترتعد
فى انفعال انعكس على صوته وعشات
ووهن وهو يعلن :

.. لا .. اننى أرفض .

سأله رئيسه مندهشا : كيف ترفض
.. انها أوامر الوزارة ؟

صرخ راضى فى غضب : وأين كانت
أوامر الوزارة طيلة الخمسة عشر عاما
الماضية ؟ .. اننى لن أسمع لاحد مهما
كان بأن يفتح الخزانة . السماء أقرب
اليهم من فتحها .

همس رئيسه وهو يميل على أذنه
هامسا : اذا كان هناك عجز فى عهدتك
تستطيع أن تسويه بدون ضجة أو
فضائح ، فى مكتبى خمسون جنيتها
أضعها تحت تصرفك ولك أن تسدها
وقتما وكيعما تشاء . وبأن التأثير على
راضى ، فخرجت كلماته هادئة متوسلة :
لا ياسيدى .. ان الامر ليس كما تظن .
انه أعمق من هذا ، انها الخزانة ...

لقد اعتاد راضى ألا يكون فى حياته
ما هو سر يخفيه ، ولا ما هو خاص به
فيغلق أبوابه دون من حوله : فزوجته
لا تترك ثنية فى ملابسه الا وفتشتها
وهى تفتح رسائله وتقرأها قبل أن
يقراها هو ، أنها تنتظره كل يوم فى
مدخل البيت لتستجوبه فى دأب ومثابرة
عن كل ما صدر عنه أثناء مكوثه بالخارج
بطريقة تشعره بأنه واقع تحت تأثير
كابوس لاسبيل للخلاص منه الا بتقيؤ
كل ما بداخله . أما زملاؤه فى العمل فانهم
يفتشون مكتبه ، ويضعون أيديهم فى
جيبه ويخرجونها بكل ما تنعثر فيه
أصابعهم : علبة سجائره . حافظته .
ورقة بها أسماء الدائنين . رسالة غالبا
ما تكون من ابنته المغتربة تشكو له على
صفحاتها قسوة زوجها ، كما أنهم
يتبسطون معه فى الحديث فيسألونه عن
أدق ما فى حياته من أشياء ، وكان «راضى»
فى البدء يجد غضاضة فى أن يجيب ،
ثم اعتاد مع تتابع الايام أن يحكى بلا
تخرج . حتى أنما نستطيع أن نقول ان
حياته كانت كعلبة من زجاج شفاف .
لكن ...

وبالرغم من هذا ...

ولكنك لن تفهمنى ياسيدى : انه شيء
مريع . انها فى حوزتى منذ خمسة عشر
عاما لم يمس مابداخلها مخلوق غيرى ،
انا فقط . لا زوجتى ، ولا زملائى .
انها . . انها ، ولكن . . هل ستفهمنى
ياسيدى ؟ لا . لا أبدا لن تفهمنى .

واندفعت الدموع الى مآقى راضى
فسكت ليخلف من انفعاله ، ثم تسأل ،
أنت . . أنت يا سيدى هل شككت فى
يوما ؟ .
: أبدا .

: هل تعتقد أننى لص ، أو أننى أقدم
على فعل شيء مشين ؟
: مستحيل .

: اذن فانا رجل نظيف ؟ .
: يا الهى ، وهل هناك من يشك فى
نزاهتك ؟

وما دمت كذلك يا سيدى ، لم
يتطفلون على خزانتي ؟

تمتم رئيسه مهونا الامر : انها مجرد
اجراءات روتينية ، تنفيذ أوامر ليس الا .
ثار راضى فارتفع صوته حتى تحول
صراخا : أية أوامر تلك . لينفذوها على
أنفسهم لكننى لن أسلم المفتاح ،
ليكسروها أو فليحرقوها . لكن الحزاة
لن تفتح بمحض ارادتى .

وجذبت الضجة المفتش فأقبل على
الحجرة تسبقه نظرات متسائلة مالبثت
أن تحولت الى مزيج من الدهشة والخوف .
فما أن رأى راضى المفتش حتى اندفع
اليه يجذبه بيديه الواهنتين من ياقة
سترته وصوته يردد : انك لن تجرؤ على
فتحها ، أبدا لن تفتحها أنت أو غيرك ،

اننى أرفض هذا التفتيش . . . أسمعنى ،
اننى أرفضه . . . أرفضه .

وحاول الرجلان أن يهدئا من ثورته :
فقط لتفاهم فى هدوء .

لكن راضى لم يقبل مبدأ التفاهم
مطلقا . فهو لن يسلمهم المفتاح ، وعلى
المفتش أن يتصرف كيف يشاء .

مدده المفتش : سأبلغ الامر لرجال
الشرطة لينفذوه بالقوة

ورجا رئيسه : لا داعى لهذا
فسيسلمك المفتاح .

بينما أصر راضى : أبدا لن أسلم
المفتاح لاحد فانا أرفض هذا التفتيش .

وغضب رئيسه ، وصرخ المفتش :
سأكتب عنك تقريرا يخسف بك
الارض ، وسأطالب بإحالتك الى النيابة
الادارية ثم اندفع الى الهاتف . وما هى
الا لحظات حتى عوى نفير عربة الشرطة
تحت النافذة ، وتدفق ما بجوف العربات
من رجال داخل الحجرة يحيطون براضى :
وكلمات منهم ورفض منه حتى ارتفعت
حرارة النقاش وأخذت طابع المراك ،
فصرخ الضابط : ساكسر الحزاة وفى
هذه الحالة ستتحمّل المسئولية وحدك .

قفز راضى فأسند ظهره الى باب
الحزاة ، وصاح متحديا : لن تستطيع
مسها .

وتدخل الحاضرون فالتفوا حول
الضابط وارتفع لفظهم . كانوا خليطا
من البشر : شرطة . مخبرون . ناس
من العامة وكلهم يتطفلون الى الحزاة تكاد
نظراتهم أن تخرق جسد راضى وتدفع
بالرجفة فى أوصاله ولما تقدم الضابط

: لا رجاء .

: من أجل شيخوختي

وكاد الضابط يمضي في عتاده لكنه أدرك أنه قد يستثير راضى فزم شفتيه وأمر الجنود بأن يتردوا كل من بالحجرة ، ويبقى المفتش واثنان من رؤساء الأقسام .

... ولما بدأ الجنود ينفذون الأمر زفر راضى بارتياح وابتعد عن الحزانة وانجه الى مقعد قريب وترك جسده يتكوم فوقه ثم مد يده بالمفتاح الى الضابط ونظراته المتعبة ترجوه : أخرجهم .. أخرجهم جميعا يا سيدي .. جميعا .

وحينما استقر المفتاح الرطب في كف الضابط تألقت عيناه بانتصار ، وصرخ في جنوده يستحثهم على الإسراع وماهى الا لحظات حتى أخلت الحجرة .

وتقدم الضابط بخطوات واثقة ففتح الحزانة ثم استدار متجهسا الى راضى وناداه : انهض ، ياسيد راضى لتحضر الجرد .

لكن راضى لم يرد ، ظل في جلسته المتراخية فتحرك الضابط واقترب منه وقال في لهجة يشوبها بعض من غضب : انهض ياسيد راضى .. هيا .. هيا

وتناول الضابط يد راضى ليساعده على القيام فلم يبد على ملامحه الصفرأ مايبين أنه سيسنجيب فصرخ به الضابط نائرا ، وهو يشعر بأنه قد أمين : أقول لك قم ياسيد راضى .. هيا ..

وجذب يد راضى بعنف ليجبره على النهوض فاستجابت اليد ومال راضى الى أمام .. الى أمام .. أمام ، ثم سقط الجسد الهامد من فوق المقعد بقوة منفردا على الأرض .

يشق طريقه متجهسا الى راضى ، شعر راضى بخوف لا حدود له ، همس أحد الوقوف في أذن الضابط : عليك أن تستعمل ذكائك فانت لا تستطيع أن تكسر الحزانة الا بأمر من النيابة .

تمتم الضابط : أعرف هذا ، ولكن لأحاول أن أهوشه .

ورسم على وجهه تعبيرا صارما ، ومد يده مشيرا الى راضى وصاح : ابعد يا عسكري .

وتطلع راضى الى العيون التى ترقب الموقف فامتلا هلعاً وهمس : لا داعى ياسيدي لكسر الحزانة ولنتفاهم .

فوجىء الضابط فلم يرد وان تألقت عيناه ، أردف راضى : فلنتفاهم ياسيدي فى هدوء

تدارك الضابط الموقف : آسف فليس لدى وقت أضيعه فى المحاوره ، ساكسر الحزانة ، هذا ما عزمت عليه .

: افهمنى ياسيدي . سأعطيك المفتاح .

فرد الضابط كفه وقال آمرا : هاته . جالت عيناه راضى فى الوجوه فانفرست فيها مائة عين ، وخرج صوته كالعبرات : انتحها أمام كل هؤلاء ياسيدي ؟ ..

: طبعاً

: وما الفائدة من وجودهم ؟

: شهود .

: أرجوك ياسيدي لاداعى لكل هذا الامتحان

: أى امتهان ؟

: أخرجهم من الحجرة وأنا مستعد لتنفيذ كل ما تأمر به .

: لن يخرج أحد .

: أرجوك ياسيدي .